عظمة الله

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التَّقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى.

أيُّها المسلمون:

أوجد الله العباد من العدم، وأمدَّهم بالنِّعم، وكشف عنهم الكروب والخطوب، والفطر السَّليمةُ تحبُّ من أنعمَ وأحسنَ إليها، وحاجة النُّفوس إلى معرفة ربِّها أعظمُ من حاجتهم إلى الطَّعام والشَّراب والنَّفَس، ولا سعادة في الدُّنيا والآخرة إلا بمعرفة الله ومحبته وعبادته، وأعرفُ النَّاس به أشدُّهم له تعظيماً وإيماناً. وعبوديَّة القلب أعظمُ من عبوديَّة الجوارح وأكثرُ وأدوم، فهي واجبة في كل وقت، وأعمال الجوارح لإصلاح القلب، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «والله يُنزِل العبد من نفسه حيث يُنزله العبدُ من نفسه». وإذا عرف المخلوق ربَّه؛ اطمأنَّت إليه نفسُه وسكن إليه قلبُه، ومن كان بالله وصفاته أعلم؛ كان توكُّله أصحَّ وأقوى، وأكملُ

النَّاس عبوديَّة المعظِّمُ لله، المتعبِّدُ له بجميع أسمائه وصفاته.

والله سبحانه له من الأسماء أحسنها ـ وأسماؤه مدح وتمجيد ـ، وله من الصفات أعلاها ـ وصفاته صفات كمال ـ، كان النَّبيُّ ﷺ يقول في ركوعه: «**سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة**» (رواه النسائي)، له الكمال المطلق في كلِّ شيء، كان النَّبيُّ ﷺ يقول: «**لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك**» (رواه مسلم). وجميع من في السَّموات ومن في الأرض ينزِّهون الله عن كلِّ عيب ونقص، قال سبحانه: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ١]، وكلُّهم يسجد له، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [النحل: ٤٩].

له سبحانه الخلق والأمر وحده، أتقن ما صنع، وأبدع ما خلق، وقدَّر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السَّموات والأرض بخمسين ألف سنة، والحُكم حُكمُه ولا يشْرَكُه في ذلك أحد، لا رادَّ لقضائه ولا معقِّب لحكمه. حيٌّ لا يموت، جميع الخلق تحت قهره وقبضته، يُميتهم ويُحييهم، ويُضحكهم ويُبكيهم، ويُغنيهم ويُفقرهم، ويُصوِّرهم في الأرحام كيف شاء.

ما من دابَّةٍ إلا هو آخذٌ بناصيتها يدبِّرها كيف شاء، وقلوب العباد بين أصبعيه يقلبها كيف شاء، ونواصيهم بيده، وأَزِمَّة الأمور معقودةٌ بقضائه وقدره. لا ينازعه منازع، ولا يغلبه غالب، لو أنَّ الأمَّة اجتمعت لتضرّ أحداً واللهُ لم يكتب ذلك؛ لم يضرَّه أحد، ولو اجتمعوا على نفعه واللهُ لم يرد ذلك؛ لم ينفعه أحد، لا رادَّ لعذابه إن نزل، ولا رافع له إن حل سواه. يخلق ما يشاء، ويفعل ما يريد، لا يُسأل عمَّا يفعل والخلق يُسألون، قائمٌ بنفسه، مستغنٍ عن خلقه، ومهمينٌ عليهم جميعاً، مفاتيح الغيب عنده لا يعلمها إلا هو، وأخفى علمها حتى عن الملائكة؛ فلا

يعلمون من سيموت غداً أو ما سيحدث في الكون قبل أن يكون.

مِلِكٌ يدبِّر أمر عبادِه، يأمر وينهى، ويعطي ويمنع، ويخفض ويرفع، أوامره متعاقبة على تعاقب الأوقات، نافذة بحسب إرادته ومشيئته، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]، ومن جملة شؤونه: أن يفرِّج كرباً، ويَجْبُرَ كسراً، ويغنيَ فقيراً، ويجيبَ دعوة، قال عن نفسه: ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ﴾ [المؤمنون: ١٧].

عِلْمُه وسع كلَّ شيء، يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن، لا تتحرَّك ذرَّة فما فوقها إلا بإذنه، ولا تسقط ورقة إلا بعلمه، لا تخفى عليه خافية، استوى عنده السِّرُّ والعلانية قال سبحانه: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ [الرّعد: ١٠]، يسمع أصوات المخلوقين وهو على عرشه، قالت عائشة رضي الله عنها: «الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلى النَّبيِّ ﷺ تكلِّمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول؛ فأنزل الله ﷻ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١]» (رواه أحمد)، وأفعال العباد في ظلمة اللَّيل البهيم لا تخفى عليه قال جل شأنه: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٨، ٢١٩]، يرى وهو فوق سمواته دبيب النَّملة السَّوداء، على الصَّخرة الصَّمَّاء، في اللَّيلة الظَّلماء.

خزائنُه مَلْآى في السَّموات والأرض، ويداه مبسوطتان بالسَّخاء، سحَّاءُ اللَّيل والنَّهار، ينفق كيف يشاء، كثير العطاء، واسع الجود، يعطي قبل السُّؤال وبعده، و«**ينزل إلى السَّماء الدُّنيا كلَّ ليلة في الثُّلث الأخير من اللَّيل، ويقول: من يسألني فأعطيه؟...**»، ومن لم يسأله يغضب عليه. وأبواب عطائه فتحها لخلقه؛ فسخَّر بحاراً، وأجرى أنهاراً، وأدرَّ

أرزاقاً. ساق للخلق أرزاقهم؛ فرزق النَّمل في قرار الأرض، والطَّير في الهواء، والحيتان في الماء ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]. ورزقه وسع الجميع؛ فساق إلى الجنين رزقه وهو في رحم أمِّه، وإلى الجَلَد القوي في ملكه.

كريمٌ يحبُّ العطاء والكرم، إذا سئل أعطى، وإذا رفعت إلى غيره حاجة لا يرضى، وكلُّ خير فهو منه ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النّحل: ٥٣]. رزقه لا ينفد، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**أرأيتم ما أنفق مذ خلق السَّماء والأرض، فإنَّه لم يَغِضْ ما في يمينه**» (رواه مسلم)، ولو سأله العباد جميعاً فأعطاهم ما سألوه؛ لم ينقص ذلك من ملكه شيئاً، قال النَّبيُّ ﷺ: «**قال الله ﷻ: يا عبادي! لو أنَّ أوَّلكم وآخركم، وإنسكم وجنَّكم، قاموا في صعيدٍ واحدٍ فسألوني؛ فأعطيت كلَّ إنسان مسألته، ما نقص ذلك ممَّا عندي إلا كما يَنْقُص المِخْيَط إذا أُدخل البحر**» (رواه مسلم).

والثَّواب على العمل يضاعفه، الحسنة عنده بعشرة أمثالها إلى سبع مئة ضعف إلى أضعاف كثيرة، والقليل من زمن الطَّاعة يُكثِّره؛ فليلة القدر خيرٌ من ألف شهر، وصيام ثلاثة أيَّام من كلِّ شهر كصيام الدَّهر، وإذا أنفق العبد مالاً ابتغاء وجهه؛ ردَّه له أضعافاً مضاعفة، ويزيد في السَّخاء فوق المنى؛ فأعطى أهل الجنَّة فيها ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطرَ على قلب بشر، وإذا ترك العبد شيئاً من أجله؛ عوَّضه خيراً منه.

غنيٌّ عن جميع خلقه، وكلُّ شيء مفتقر إليه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، لا يبلغ العبادُ نفعَه فينفعوه، ولا ضُرَّه فيضرُّوه، عليٌّ كبير، الكرسيُّ موضعُ قدميه سبحانه، وقد وسع الكرسيُّ السَّمواتِ والأرض، والسَّموات السَّبع في الكرسيِّ كدراهمَ سبعةٍ ألقيت في تُرْس، والكرسيُّ في العرش كحلقة من حديد

أُلقيت بين ظهري فلاة من الأرض، وعرشه أعظم مخلوقاته، وتحت العرش بحر، ويحمل العرشَ ملائكةٌ ما بين شحمة أُذن أحدهم إلى عاتقه مسيرةُ سبع مئة عام، وربُّنا مستوٍ على عرشه ـ كما يليق بجلاله وعظمته ـ، وهو مستغنٍ عن العرش وما دونه.

محيطٌ بكلِّ شيء ولا يحيط به شيء، ويدركُ الأبصارَ والأبصارُ لا تدركه، وقدرته شملت جميع مخلوقاته وهي ضعيفة عنده وإن كبرت في أعين المخلوقين، فالسَّموات يطويها سبحانه يوم القيامة ثمَّ يأخذهنَّ بيده اليمنى ثم يقول: «**أنا الملك، أين الجبَّارون؟ أين المتكبِّرون؟ ثمَّ يطوي الأرضين بشماله، ثمَّ يقول: أنا الملك، أين الجبَّارون؟ أين المتكبِّرون؟**» (رواه مسلم)، ويجعل السَّموات يوم القيامة على إصبع، والأرضين على إصبع، والجبال والشَّجر على إصبع، والماء والثَّرى على إصبع، والخلائق على إصبع، ثمَّ يهزُّهن، ثم يقول: «**أنا الملك، أنا الملك**» (متفق عليه)، وإذا تكلَّم بالوحي أخذت السَّمواتِ منه رجفةٌ وصعق أهل السَّماء، وأول من يفيق جبريل، والسَّمواتِ تخشاه، قال ﷻ: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ﴾ [الشورى: ٥] قال الضَّحَّاك رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: يتشقَّقن فَرَقاً من عظمة الله ـ أي: خوفاً منه ـ».

قيُّومٌ لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يُرفَعُ إليه عملُ اللَّيل قبل عمل النَّهار، وعملُ النَّهار قبل عمل اللَّيل، «**حجابه النُّور، لو كشفه لأحرقت سُبُحَات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**» (رواه مسلم)، الأمر يدبِّره مِن السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ في يَوْمٍ كَانَ مقداره أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ، ﴿وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [لقمان: ٢٧].

قويٌّ لا يعجزه شيء إذا أراد شيئاً قال له: كن فيكون، وأمْرُه كَلَمْحِ

البصر بل هو أقرب، وله جنودٌ لا يعلمها أحد سواه، قَلَبَ قرى قومِ لوطٍ وجعل عاليها سافلها، ولما امتنع بنو إسرائيل عن قبول ما في التَّوراة رفع جبلاً فوق رؤوسهم كأنَّه ظُلَّة وظنُّوا أنَّه واقعٌ بهم، وتجلَّى سبحانه لجبل فجعله دكّاً، ولما رأى موسى ذلك خرَّ صعقاً. والأرض إذا انقضى الدَّهر يرجُّها رجّاً، ويدكّها دكّاً، وينسف الجبال نسفاً. وبنفخة واحدة في الصُّور ينفخ فيه إسرافيل يفزع الخلق، وبنفخة أخرى يصعقون، وبثالثة يقومون للحشر. وإذا نزل سبحانه لفصل القضاء؛ تشقَّقت السَّماء لنزوله تعظيماً له وخشية.

والله سبحانه فوق ما يصفه الواصفون، ويمدحه المادحون، لا نِدَّ له ولا نظير، ولا شبيه ولا مثيل، عَرَفَ الرُّسلُ ربَّهم فأكثروا له التَّذلُّل والتَّعبُّد والخضوع؛ فكان داود عليه السلام يصوم يوماً ويفطر يوماً، ونبيُّنا محمَّد ﷺ يقوم اللَّيل حتى تتفطَّر قدماه، وإبراهيم عليه السلام أوَّاه لربِّه منيب، ومن سلك نهج الأنبياء؛ نال السَّعادة والرَّخاء.

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الزُّمَر: ٦٧].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمَّداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مزيداً.

أيها المسلمون:

لا أحدَ أحبُّ إليه المدح من الله، ولذا أثنى على نفسه، وأصل التَّفاضل بين النَّاس إنَّما هو بمعرفة الله ومحبته والثَّناء عليه، ومن عرف الله وقلبُه سليم؛ أحبَّه وعظَّمه، وكلَّما ازداد له معرفةً ازداد له طاعة، والذُّنوب تُضْعِف تعظيمَ الله ووقاره، ولو تمكَّن وقارُ الله وعظمتُه في قلب العبد ما تجرَّأ أحد على معاصيه، وكلُّ معصية فمن الجهل بالله، وإجلال الله يَعْظُم بالطَّاعات، وأعظم عبادة يتقرب بها العبد من ربه؛ هي إفراده بالعبادة، فلا يُسألُ إلا هو، ولا يستغاثُ إلا به، ولا تُصرف أي عبادة إلا له وحده. ومن عبد مع الله غيره؛ فما قدر الله حقَّ قدره، وظلم نفسه بالوقوع في الشرك، ومن هداه الله لتعظيم الرَّبِّ وإفراده بالعبادة؛ وجب عليه أن يدعوَ غيرَه إلى توحيد الله وتعظيمه.

ثمَّ اعلموا أنَّ الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيِّه...